## الجوانب التربوية في سورة يوسف من خلال تفسير" تصديق المعارف" للإمام محمد بن عبد الملك الديلمي*

**Ahmad Hameed Abood AL-DULAIMI****

**الملخص**

يتناول هذا المقال أهم الجوانب التربوية والأخلاقية التي استنبطها الإمام محمد بن عبد الملك الديلمي من سورة يوسف، وبيّن أهم الأخلاق التي لابد للمريد والطالب التمسك بها، وأثبت من خلال الآيات الواردة إثبات كرامات الأولياء، كما تضمن هذا المقال بيان معنى التفسير الإشاري (الصوفي)، كمااستهدف هذا المقال التعريف بالإمام الديلمي رحمه الله تعالى، وكتابه تصديق المعارف، وجاء هذا المقال من خلال دراسة سورة يوسف في كتاب تفسير تصديق المعارف.

**الكلمات المفتاحية:** التربية، الامام الديلمي، تصديق المعارف، الاخلاق، التفسير الإشاري.

## İmam Deylemî'nin Tasdîku'l-Meârif Adlı Tefsiri Çerçevesinde Yusuf Suresindeki Tasavvuf Terbiyesine Dair Yönler

**Öz**

Bu makalede İmam Deylemî'nin (589/1193) *Tasdîku'l-Meârif* adlı tefsirinde Yusuf suresi tefsiri çerçevesinde ortaya koyduğu önemli pedagojik ve ahlaki yönler ele alınacaktır. Bu doğrultuda Deylemî'nin mürit için gerekli olan ahlaki vasıflara dair değerlendirmelerine yer verilmiştir. Yine mezkur surede geçen ilgili ayetlere dayanarak evliyanın kerametlerinin ispatı gibi konular da ele alınmıştır. Bunun yanında bu konulara yer verilmeden önce İmam Deylemî'nin hayatı ve bir işari tefsir olan *Tasdîku'l-Meârif*'i hakkında tanıtıcı bilgilere yer verilmiş ayrıca kısaca işari tefsirin neliğine de değinilmiştir.

**Anahtar Kelimeler:** Pedagoji, İmam Deylemî, Tasdîku'l-Meârif, Ahlak, İşârî Tefsir.

## The educational aspects of Surat Yusuf through the interpretation of the "Tasdiq Al-Ma'rif" of Imam Muhammad bin Abdul Malik al-Daylami

In this article we will deal with the most significant educational and moral aspects that were revealed by Imam Daylami in his Quranic exegesis book Tasdîku'l-Meârif within the frame of Surah Joseph. Within this context, we deal with the neccessary ethical evaluations of Deylemi that needed by disciples. We also mention about the proving of the miracles of saints based on the Quranic verses in the before mentioned surah. Before evaluating these issues, we give introductory information about Imam al-Daylami and his ishari exegesis book Tasdiq Al-Ma'rif) and we mention the specifications of ishari tafsir.

**Key Words:** Pedagogics, Imam Daylami, Tasdiq al-Maarif, Ethics, Ishari Tafsir

* Bu çalışma, Süleyman Demirel Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı'nda hazırlanan "Deylemî'nin Tasdîku'l-Meârif Adlı Eserinin Tahkik ve Değerlendirmesi" konulu Doktora tezinden çıkarılmıştır.

** Süleyman Demirel Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı Doktora Öğrencisi

**المقدمة**

فإن الانسان الذي يبحث على طريق للخلاص من الشيطان ووساوسه، لابد له من أن يتخذ شيخاً موجهاً له عارفاً بطرق انقاذ المريد من هذه الآفات التي تصيب الانسان في طريقه الى الله تعالى، وكان القرآن الكريم المنقِذ الاول والدال الابرز للإنسان، ولما كان القرآن سبيل النجاة للعبور الى بر الأمان كان لابد من فهم آيات هذا القرآن العظيم، وقد تناول تفسير هذا القرآن الكريم كثير من علماء التفسير الذي وقفوا على كل آية من آياته ففسروها وأوضحوا مدلولاتها، وكان لكل عالم من علماء التفسير الطريقة التي اعتمدها في تفسيره فمنهم من فسره بالرواية، ومنهم من فسره دراية، ومنهم من فسره بالإشارة التي هو موضوع بحثنا في هذه الدراسة التي تناولت فيها أيات من سورة يوسف التي تحدثت عن التربية والسلوك، اعتمدت من خلالها على تفسير تصديق المعارف للإمام محمد بن عبد الملك الديلمي (ت. 589ه) حيث تناول هذا التفسير سورة يوسف وفسرها تفسيراً تربوياً بين من خلاله أهم الجوانب التربوية للمريد مع شيخه، وقد أسميت هذا البحث (الجوانب التربوية في سورة يوسف (عليه السلام) من خلال تفسير تصديق المعارف، وقد اعتمدت على الخطة التالية في تقسيم هذا البحث، فقسمته الى تمهيد ومبحثين، بينت في التمهيد التفسير الإشاري أي(الصوفي) كما عرفت بكتاب تفسير تصديق المعارف: ثم المبحث الأول: بينت فيه معنى التربية والسلوك:- وقسمته الى مطلبين: فأما المطلب الأول:- تعريف السلوك وبيان ماهيته. وأما المطلب الثاني بينت فيه أهم النماذج من صور التربية والسلوك وذلك من خلال سور القرآن الكريم عامةً، ومن خلال سورة يوسف من تفسير تصديق المعارف. أما المبحث الثاني فتحدثت به عن النفس وكيفية تربيتها وقسمته الى مطلبين فأما المطلب الاول: تعريف النفس وبيان طبيعتها، والمطلب الثاني أثر التربية النفس في السلوك العام. ثم الخاتمة بينت فيها أهم ما توصلت اليه من خلال الدراسة. والحمد لله رب العالمين.

**المطلب الأول: تعريف التفسير الإشاري**

**أولاً: تعريف التفسير**

**التفسير لغة**: فسر: الفسر البيان، فسر الشيء يفسره، بالكسر، ويفسره، بالضم، فسرا وفسره: أبانه، والتفسير مثله. ابن الأعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد. وقوله عز وجل: وأحسن تفسيرا؛ الفسر: كشف المغطى[1] أي بمعنى الإبانة والكشف وإظهار المعنى المعقول، قال تعالى: ( ولا يأتونك بمَثَلٍ إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)[2]، أي: وأفصح بياناً وتفصيلا.

**التفسير اصطلاحاً:** علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.[3]

**ثانياً: تعريف الإشَارَة**

**الإشارة لغةً:** مصدر ( أشار إليه، وشور أومأ، يكون ذلك بالكف وبالعين والحاجب،.. وأشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيديه)[4]، (وأشار عليه بكذا: أمره وهي الشورى)[5] .

**الإشارة اصطلاحاً:** تستخدم الإشارة في معانٍ كثيرة بحسب العلم الذي تستخدم فيه، فتأتي في علم أصول الفقه، وكذلك في النحو، كما تستخدم في علم التصوف زيادة على استعمالها في تفسير القرآن الكريم فيقال: (وتشير هذه الآية إلى كذا)، أو يقال: ومن باب الإشارة كذا وقد عرفها العلماء بعدة تعاريف للإشارة منها: قال ابن القيم الجوزية: هي المعاني التي تشير الى الحقيقة من بعد سببها صفاء يحصل بالجمعية فيستيقظ الذهن لإدراك أمور لطيفة[6]، ومعنى قوله بالجمعية أي اجتماع الهمم في التوجه الى الله تعالى والانشغال به عما سواه[7] .

**ثالثاً: تعريف التفسير الإشاري**: وهو كما قال عنه الامام الزرقاني بأنه: تأويل القرآن بغير ظاهرة لإشارة خفيةٍ تظهرُ لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضاً[8] .

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت.711-1311)، لسان العرب، الناشر دار صادر– بيروت، ط3، 1414، عدد الأجزاء: 15، 55/5.
(2) سورة الفرقان الآية : 33.
(3) القطان، مناع القطان (ت.1420-1999)، مباحث في علوم القرآن، الناشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421ه- 2000م، ص: 334-335.
(4) ابن منظور، لسان العرب: 106/5.
(5) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت.817-1414)، القاموس المحيط تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 8، 1426-2005، 67/2؛ وكذلك الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي(ت.538-1143)، أساس البلاغة، الناشر دار الفكر (1399-- 1979)، ط1، 1419-1998: ص 251.
(6) الزرعي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت. 751-1350)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر دار الكتاب العربي– بيروت، ط3، 1393– 1973: 416/2.
(7) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1405، ص 69.
(8) الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت.1367-1948)، مناهل العرفان، الناشر دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (د.ت)، 56/2.

**المطلب الثاني: الامام محمد بن عبد الملك وتفسيره تصديق المعارف :**

**أولاً: حياة الامام محمد بن عبد الملك الديلمي (ت.589ه-1193م).**

**1: حياته: اسمه، ولقبه، وكنيته، وولادته، ونشأته:** محمد بن عبد الملك الديلمي(ت.589ه -1193م)[9]، وقد اتفق كل من ترجم للإمام الديّلمي، وكل من حقق كتبه أن اسمه هكذا، ولم يختلف أحدٌ على اسمه. **ولقب:** الامام محمد بن عبد الملك الديلمي بـ( شمس الدين)[10]، وأما **كنيته**: فقد كُنيّ الإمام محمد بن عبد الملك الديلمي، فكان يُكنى (أبو ثابت)[11]. وإن **ولادة** الإمام الديلمي كما هي.

**وفاته:** لم يذكرها احد مما سبق سواء من علماء التراجم الذين ترجموا له أم من المحققين لم يذكر أحد سوى ما ذُكر أنه كان(حياً في سنة 589ه -1193م ).

**أما نشأته:** لم تذكر المصار نشأته، ولكن الإمام الديلمي رحمه الله من خلال مصنفاته يظهر أنه نشأ في بيئة إسلامية محافظة إذ وهو من علماء التصوف في القرن السادس الهجري، وتمثل هذه الفترة الانطلاقة الحقيقية للتصوف، حيث كانت نشأة المصنف رحمه الله تعالى، وكما اشتهرت الطرق الصوفية وانتشرت من المشرق الى المغرب، كالقادرية والرفاعية والشاذلية كما واتسم التصوف في القرن السادس بالالتزام بحدود الشريعة، حيث كان من أهم أسس التصوف هو المنهج السُني، وذلك أن الصوفية أنفسهم اعتبروا العلم بالكتاب والسُنة أساساً لكل العبادات والأعمال، وهذا ما لمسناه من خلال منهج الإمام أبي ثابت محمد بن عبد الملك الديلمي، فكانت الشريعة هي الركن المتين والأساس لكل حقيقة. كما تعتبر المجاهدة من دعائم التصوف السني، وهي مجاهدة بخلاف ما وجد في الفلسفات الأخرى والأديان التي أخذ على عاتقه المصنف الرد عليها بمؤلفاته كما في كُتبه (تخجيل الفلاسفة)، وكتاب (التجريد من مقاصد الفلاسفة ). كما إن المجاهدة مقيدة بالكتاب والسنة دون المغالاة في التزهد. والصوفي الحقيقي يجب أن يكون باباً للخير عند القوم، فيتنازل عن حقوقه مقابل حفظ حقوق الآخرين، ويُحبُ لغيره فوق ما يُحب لنفسه حتى وإن كانوا غير مؤمنين، كما جاء في الحديث عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (( الخلق كلهم عيال الله، وأحب الخلق أنفعهم لعياله))[12].

**2: نسبه:** الديلمي، وأما الديلم وما يتصل بها: تقع مدينة الديلم التي ينتسب إليها الإمام الديلمي في ناحية الجنوب قزوين والطرم وشيء من أذربيجان وبعض الريّ، ويتصل بها من جهة المشرق بقية الريّ وطبرستان، ويتصل بها من جهة الشمال بحر الخزر، ومن جهة المغرب شيء من أذربيجان وبلدان الران، قال ابن حوقل[13]( وبلاد الديلم سهل وجبل فالسهل يسمى الجبل والسهل هو ساحل على بحر الخزر تحت الجبل وجبال الديلم جبال منيعة الى الغاية وبجبالها غياض ومياه مشتبكة في الوجه الذي يقابل طبرستان والبحر وبين ذيل الجبل ولبن البحر مسافة يوم وهو عرض الساحل وفي بعض المواضع اكثر من يوم )[14].

**3: شيوخه وتلاميذه**: الإمام محمد بن عبد الملك الديلمي تلقى علمه من علماء عصره ودرس عليهم وتخرج من مدارسهم، ويقال أن شيخه الشيخ سديد الدين[15]، ولكنه لم يوثق ذلك في كتبه، فلذلك لم يتمكن من جاء بعد عصره من إثبات شيوخه، وكما هو الحال مع تلاميذه، وإلا هو عالم كبير ومشهور، وبالتأكيد درس أيضاً على يده كثير من طلاب العلم، والسبب يعود لأمرين: الاول: إن الامام رحمه الله اشتغل بالتأليف، ولم يشتغل بالتدريس لذلك لم يذكر له طلاب، والامر الثاني أن طلاب الامام الديلمي لم يوثقوا ذلك إما رغبةً من الامام الديلمي بعدم ذكر اسمه أو تقصيراً من طلابه، ولكن كما أشرنا بأنه لم يدون ذلك في كتبه ومؤلفاته. والله اعلم.

**4: ثناء العلماء عليه**: قال عنه العلماء في مدحه قال: الشيخ محمد بن المرحوم شادبك[16] قال عنه:هو الإمام والمفسر الكبير برهان الطريقة مقتفى آثار النبوية ومفشي اسرار الالوهية، وأفضل المتقدمين والمتأخرين[17].

**5: مذهبه الفكري**: كان الإمام محمد بن عبد الملك الديلمي رحمه الله من أهل السنة والجماعة، وكامن صوفياً معتدلاً، وأفكاره معتدلة قريبة من علماء الظاهر من اهل السنة والجماعة، وكان يعد أحد علماء التصوف الإسلامي في القرن السادس الهجري، وله معرفة واسعة بالفلسفة وكرسها لخدمة الدين، والرد على بعض المتطرفين من الفلاسفة وكتابه مشهور في ذلك ( تخجيل الفلاسفة )، وهذا ما اثبتناه من خلال وصف العلماء له، ومن خلال مؤلفاته التي بلغت السبعة والعشرون أغلبها تتحدث عن التصوف والصوفية.

(9) الأعلام للزركلي، 250/6.
(10) المصدر السابق المسالك والممالك.
(11) عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (ت. 1408ه-1987م)، معجم المؤلفين، الناشر مكتبة المثنى– بيروت، ودار إحياء التراث العربي– بيروت، (د. ط)،(د.ت)، 257/10.
(12) شعب الايمان، باب: قيام الأوزاعي مع،9\522، برقم 7047، والحديث قال عنه الالباني في السلسلة الضعيفة4\372: إسناده ضعيف.
(13) محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ( ت. 1163ه- 1750م)، أبو القاسم: رحالة، من علماء البلدان. كان تاجرا. رحل من بغداد سنة 331 هـ ودخل المغرب وصقلّيّة، وجاب بلاد الأندلس وغيرها. ويقال: كان عينا للفاطميين. له (المسالك والممالك- ط)، الأعلام للزركلي 111/6.
(14) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر(ت. 732ه-1331م)، تقويم البلدان، الناشر دار صادر– بيروت، ( د. ط )، (د.ت)، ص: 337.
(15) المعلومة فقط أن شيخه اسمه سيديد الدين، ولم نستطع ان نترجم له لوجود عدد كثير يحمل لقب سديد الدين في نفس العصر.
(16) محمد بن الرحوم شاد بك من إينال شاد الشراب خاناه، وكان بالديار المصرية، حيث قام بنسخ كتاب الامام الديلمي (تصديق المعارف)، وقد أنتهى من نسخ هذا التفسير في صفر سنة خمس وثلاثين وثماني مائة. ينظر: تصديق المعارف للديلمي، مكتبة سليمانية، فاضل أحمد باشا، رقم الورقة: 110/ظ.
(17) كما ذكره في مقدمة تصديق المعارف، ينظر: مكتبة سليمانية، فاضل أحمد باشا، رقم الورقة: 1/ظ.

**سادساً: وفاته:** لم تذكر مصادر الترجمة أي تاريخ لولادته ولا لوفاته، ولكنهم يذكرون فقط أنه كان حياً في سنة (ت.589هـ-1193م)، وما يمكننا قوله هنا أنه مات في القرن السادس الهجري، وكل من توسع في سرد أرقام تقريبية لولادته أو وفاته فهو اجتهاد خاص به دون دليل قطعي، ولا يحتاج أن نذكر شيء من هذا القبيل دون دليل قطعي حقيقي .

**6: مصنفاته:** للإمام رحمه الله تعالى مصنفات كثيرة في مختلف العلوم منها : إصلاح الأخلاق ومفتاح الاغلاق، شرح الانفاس الروحانية للجنيد وابن عطاء، تفسير تصديق المعارف، سلوة القلوب، أصول مذاهب العرفاء، بداية الهداية، رسالة في التوحيد، برهان المحبة في التصوف، التجريد في رد مقاصد الفلاسفة، تخجيل الفلاسفة، التلخيص من الأصول له، الجامع لدلائل النبوات، الجمع بين التوحيد والتعظيم، جواهر الأسرار، سوانح الأفكار والقرائح في غرر الأشعار والمدائح - سوانح السوائح، عجائب المعارف، فتوح الرحمن في إشارات القرآن وتفسيره، عيون المعارف، كتاب الآزال والآباد، كتاب المحبة والخلة، كتاب مرآة الأرواح وصورة الأوجاه، كتاب المعاريج، كتاب المكان، كشف الحقائق بكنه الدقائق في التصوف، محك النفس، المسائل الملمع بالوقائع البدائع المبرهن بدلائل الشرائع، معرفة ألفاظ العرفاء، مهمات الواصلين من الصوفية البالغين

**ثانياً تفسير( تصـــديق المعـــارف)**

**1:اسم الكتاب وتوثيق نسبته إليه**

اتفقت مصادر ترجمة الإمام محمد بن عبد الملك الديلمي رحمه الله على أن له كتاباً في التفسير اسمه (تصديق المعارف) ، وكذلك لا يمكن الشك من أن هذا التفسير للإمام الديلمي رحمه الله، وهناك أدلة كثيرة تثبت اسم التفسير للمؤلف ونسبته إليه بشكل قاطع منها:

- كُتب على جلد الكتاب اسم التفسير المذكور.

- لم يذكر الإمام الديلمي رحمه الله تعالى في المقدمة في كل النسخ أسم التفسير صريحاً، ولكنه بيّن محور هذا التفسير من خلال في مقدمته عندما قال: ( فإن هذا تفسير القرآن الذي يحتاج إليه الصوفية في أحوالهم، ويدل على صحة أقوالهم وأفعالهم، ويشهد لهم على صدق مقالاتهم في مقاماتهم)[18]، وهذه المقدمة لم يذكرها المصنف إلا في تفسيره (تصديق المعارف) كما واتفق كل علماء التراجم والمحققين السابقين لكتب الإمام الديلمي أن الإمام محمد بن عبد الملك الديلمي لديه تفسيراً واحداً وهو(تصديق المعارف)[19]، ويذكر مصدراً واحداً فقط هذا التفسير باسم (فتوح الرحمن في إشارات القرآن وتفسير)[20]، ولكن من خلال مقدمة التي ذكرها تبين أنه نفس كتاب (تصديق المعارف).

- في مركز مخطوطات بمكتبة السليمانية في إسطنبول التي أخذنا منها نسخ المخطوط، وكذلك في مركز جمعة الماجد للمخطوطات في الإمارات العربية المتحدة، ذُكر فيها اسم التفسير، ونسبته للإمام الديلمي رحمه الله، سواء في مصادر المكتبات إضافةً كتابته على غلاف الكتاب.

- اتفاق كل من ترجم للإمام الديلمي ككشف الظنون، وايضاح المكنون، وهدية العارفين، وغيرهم على ذكر اسم كتابه، ونسبته إليه ضمن تعداد مؤلفاته. وبعد هذا التوثيق نستطيع القول أن المخطوط الذي يحمل عنوان (تصديق المعارف) هو مصنفٌ في علم التفسير وموضوعه التفسير الإشاري الصوفي الذي تناول بعض الآيات التي لها علاقة بالتربية، ومجاهدة النفس، وآداب المريد مع شيخه، وأن مؤلفه الامام محمد بن عبد الملك الديلمي. رحمه الله تعالى .

**2: تاريخ وأسباب تأليفه وأهميته**

**تاريخ تأليفه:** لم يذكر الإمام محمد بن عبد الملك الديلمي رحمه الله تاريخ تأليفه للتفسير المذكور، وهذا الأمر يجري في أكثر مؤلفاته، فإنه نادراً ما يذكر التواريخ.

**أسباب تأليفه:** الإمام محمد بن عبد الملك الديلمي رحمه الله بيّن من خلال مقدمته للتفسير، سبب تأليفه لكتابه ( تصديق المعارف في تفسير القرآن)، بأنه اطلع على كثير من التفاسير المختلفة، وأراد وضع تفسير خاص بأهل التصوف يقتصر على تفسير بعض الآيات القرآنية التي تتكلم عن تربية النفس، ومجاهدتها كما عبر في مقدمة تفسره، فجاء تفسيره هذا يحمل فكراً صوفياً وسطياً بين الطوال والقصار، محاكماً بين المفسرين، راداً على بعض المتطرفين في الأفكار، ومُعرِضاً عن تعصب المعاندين مشتملاً على لطائف الإشارات بالتصريح والتلويح، مع التلميح إلى ما يصل إليه بفكره من الأسرار.

**أهمية هذا التفسير:**

تأتي أهمية هذا التفسير بكون الإمام محمد بن عبد الملك الديلمي من علماء القرن السادس الهجري، ومن المشهود لهم بالعلم والورع والتقوى، وله باع طويل في كافة العلوم النقلية والعقلية والفلسفة، ويأتي تفسيره هذا نِتاجاً لهذه المسيرة العلمية الحافلة، حيث يُعد هذا التفسير من التفاسير المهمة التي فسرت آيات القرآن الكريم تفسيراً إشارياً صوفياً، تخلله ذكر أقول بعض المفسرين القدامى كالطبري والسُلمي وغيرهم، كما تتضح أهمية هذا التفسير بذكره أقوال النبي صلى الله عليه وسلم شواهد على تفسيره وآرائه، كذلك ذكره أقوال

(18) كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى في مقدمة تفسيره، ينظر: تصديق المعارف للديلمي، مكتبة سليمانية، فاضل أحمد باشا، رقم الورقة: 2/و.

(19) ينظر: كتب التراجم منها، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، باب الميم، المجلد السابع، ص: 93. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، باب اللام، 115/3.

(20) ينظر: كشف الظنون، 1240/2.

كبار العلماء والأولياء كالجنيد البغدادي، وابن عطاء، وسهل التستري، والحسين بن منصور، ومناقشته لبعض آرائهم، وفي بعض الأحيان يرد عليها عزز من أهمية هذا التفسير، وجعله تفسيراً يحمل طابعاً معيناً، وهو التفسير الصوفي. وتكمل أهميته بأنه يختص بأمور مجاهدة النفس، والتربية الروحية التي نحن بأمس الحاجة إليها في زمن انتشار الفتن ومغريات الحياة الدنيا، وكونه ليس مجرد ناقل للأقوال بل يرجّح فيما بينها، ويردّ بعضها إن لم تطابق الضوابط العلمية التي سار عليها، وهذا أعطى التفسير الأهمية الكبرى لدى طالب العلم كونه يأتي بتوجيهات وترجيحات لم يسبقه فيها أحد من المفسرين على كثرتهم، وهذا من أهم مميزات هذا التفسير المبارك.

لهذه الأمور وغيرها تتبين لنا أهمية هذا التفسير الذي سار فيه المصنف على المنهج الإشاري الموافق لنهج أهل السنة والجماعة، حيث أن تفسيره خلا من البدع والخرافات التي تُعد مخالفة للكتاب والسنة، ومنهجه في تفسيره ليس فيه زيغ ولا اعوجاج.

**المبحث الاول**

**الجوانب التربوية في سورة يوسف (عليه السلام) من خلال تفسير تصديق المعارف**

**المطلب الأول:- أشكال التربية في سورة يوسف (عليه السلام)**

**اولاً- تربية السلوك: تعريف السلوك وبيان ماهيته:**

السلوك: لغة هو مصدر من الفعل ( سلك ) والفعل ( سلك) يتضمن معنى الإدخال، يقال سلكته فيه بمعنى أدخلته[21] قال تعالى**{كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}**[22] وقال تعالى **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ }**[23] ونقول سلكت الطريق بمعنى دخلته، وسلكت وأسلكت[24]يدي في جيبي بمعنى، أدخلتها فيه، أما المسلك فهو الطريق، تقول سلكت الطريق الأقرب، فالطريق الأقرب هو المسلك الذي سلكه السالك[25]. وذهب الراغب الأصفهاني في مفرداته إلى القول بأن (( السلوك: النفاذ في الطريق، يقال سلكت الطريق، وسلكت كذا في طريقه، قال تعالى **{لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً }** وقال **{ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً }**، **{يسلك من بين يديه }**،**{ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً }** ومن الثاني قوله **{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ }** وقوله، **{كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}**))[26].

أما السلوك بمعناه الاصطلاحي فهو سيرة الإنسان وتصرفاته الشخصية[27]، أو هو المنهجية العامة لتصرف الشخص والمنطلقة من الآداب العامة والضوابط الاجتماعية، بحيث تكون تصرفاته المنبعثة من الأعراف الاجتماعية الحسنة سمة واضحة له، والسلوك بين الاستقامة والانحطاط، فالاستقامة (Good Behaviour) تعني التصرف في حدود الآداب العامة والقانون[28]، أما الانحطاط الخلقي (Moral – Turpitude) فهو (( كل فعل ينطوي على سقوط أخلاقي أو انحراف جنسي، أو إخلال دنيء بواجب يترتب نحو الغير أو المجتمع بوجه عام، وكذا السلوك المغاير لمقتضيات العدالة أو الأمانة أو الآداب ))[29] .

**أهميته**: وهنا تكمن أهمية السلوك في حياة الفرد والمجتمع لأن السلوك يتعلق بتصرف الإنسان الشخصي، الذي قد يوصف بأنه حسن إذا كان ضمن ما ذكرنا من الضوابط الشرعية، ومن خلال هذا الانسان سينعكس هذا التصرف(السلوك) على المجتمع فإما يكون الإنسان فيه مؤثراً إيجابياً في المجتمع أو العكس بأن ينعكس سلباً في هدم أواصر هذا المجتمع، أما السلوك الحسن فهو السلوك المنضبط الذي يجعل صاحبه خاضعاً سواء أكان قولاً أم فعلاً، للشريعة الإسلامية[30]، كونها الشريعة الحقة التي تدعو إلى الانضباط النفسي والبدني

**ثانياً:- نماذج من صور التربية السلوكية:-**

**1- في القرآن الكريم:** لقد حث القرآن الكريم على تربية السلوك من خلال توجيهاته بآياته، فما من مبدأ سلوكي إلا وقد حث القرآن عليه قال تعالى **{إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}**[31]، وجاء القرآن الكريم أولاً لينظم العلاقة السلوكية ما بين الآباء والأبناء، مبيناً واجبات كل طرف نحو الآخر، فقال عزّ وجل **{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ..}**[32]، **وقال {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً....}**[33] وما من شك في أنه لبناء الجانب السلوكي الأسري أثر مهم في بناء المنهجية العامة لسلوك الإنسان، وقريباً من هذا فقد أمر الله تعالى بصلة الأرحام، بل والنهي عن قطيعتها، فقال**{ اتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }**[34]،

(21) ينظر: لسان العرب لابن منظور، 10/442-443 مادة (سلك) .
(22) سورة الشعراء الاية :200.
(23) سورة الزمر الاية:21.
(24) هما بمعنى واحد عند ابن منظور، 10/442-443 .
(25) ينظر كتاب العين، الخليل بن أحمد، باب (سلك)، 5/311.
(26) المفردات في غريب القرآن، 239 ( سلك)
(27) ينظر معاجم لغة الفقهاء لمحمد قلعجي، 249.
(28) المعجم القانوني لحارث سليمان الفاروقي، 1/318.
(29) المصدر نفسه 1/318.
(30) ينظر معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعجي، 249.
(31) سورة الإسراء الاية: 9
(32) سورة البقرة الاية:83
(33) سورة الإسراء الاية: 23.
(34) سورة النساء الاية: 1

وقال **{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى ..}**[35]، وذلك لأن توثيق الصلات هو الأساس الذي يدعم بنية المجتمع، وان العلاقة الحسنة مع أفراده هي الأرضية السليمة لبنائه بناء قوياً ومتيناً.

ومن أهم جوانب الصور السلوكية، القول الحسن والمعاملة بالحسنى، وقد جاءت هذه الجوانب في أكثر من عشر سور، فقال تعالى **{وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا }**[36]، وقال تعالى حاثاً على كظم الغيظ **{وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }**[37]، وقال تعالى في وجوب التواضع **{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً}**[38]، وقال تعالى حاثاً على حسن التعامل ولين **الجانب {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }**[39]، وقال تعالى في الدعوة إلى التراحم **{مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ....}**[40] وقال **{ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}**[41]، ثم جاءت الدعوة الى الاستقامة في القول والفعل، فقال تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}**[42]، ولأن الصدق في القول والفعل هو أساس السلوك السوي، فقد جاءت الدعوة إليه، فقال تعالى **{وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}**[43] ثم جاءت الدعوة إلى التسامح والعفو، لأنهما السبيلان لتقويم سلوك الفرد، فقال تعالى **{فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**[44]، وقال**{وأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}**[45]. ولا شك في أن وصية لقمان لابنه احتوت كثيراً من القيم التربوية والسلوكية فقال تعالى **{يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}**[46]، ومن تربية وصور السلوك القرآني أيضا تحريم السخرية والظن بالسوء والتجسس والغيبة فقال تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ(47)}**[48]، هذه بعض من صور التربية السلوكية في القرآن الكريم والتي تهدف لبناء فرد صالح ضمن بيئة صالحة.

2- **أما الجوانب التربوية في سلوك المريد مع شيخه من خلال سورة يوسف:** احتوت سورة يوسف على كثير من المعاني السلوكية المهمة والتي تجسدت في شخص نبي الله يوسف –عليه السلام– مع شيخه وأبيه نبي الله يعقوب عليهما السلام، وتجسد في هذه السورة كثيراً من الآداب التي تخص المريد، وبعض الردود على منكري الرؤيا.

**الجانب التربوي الأول: الرد على منكري الرؤيا للأنبياء والاولياء:** كما جاء في تفسير تصديق المعارف في تفسير قوله تعالى **{إذ قال يوسفُ لأبيه يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً}** [49] إلى آخر الآيات الثلاث، فيها علوم كثيرة من علوم التصوف:

**منها**: قوله **{إني رأيت أحد عشر كوكباً} قال الديلمي:** دل على بطلان قول من يقول إن رؤيا الصوفية في وارداتهم[50] وواقعاتهم وأحوالهم خيالات لا وجود لها، فإنه عليه السلام قال **{إني رأيت أحد عشر كوكباً}** ولو كان خيالاً لا وجود لها لما قال رأيت، لأن تخيل الخيال لا يسمى رؤية، ودل على صحة ذلك -أيضاً- أنه سمى ما رأى شمساً وقمراً وكواكب، واخبر أنه رأي سجودهم سجدوه، فلو كان ذلك تخيلاً، فأعلى درجات الخيال أن يفيد الوهم لا الرؤية الحقيقية، فكان من حقه أن يقول: توهمت خيالاً كشبه الشمس والقمر والكوكب ألا ترى أن من تخيل له الشخص من بعيد لا يصح أن يقول رأيت زيدًا، وكيف يقول ذلك وهو لا يدري أنه شخص أم لا فضلاً على كونه زيداً، لكن يقول تخيلا وترآءا لي خيال كشبه الشخص حتى أنه لو رآى معاينةً شخصاً من بعيد فظنه زيداً صح أن يقول: رأيت شخصاً، ولا يصح أن يقول رأيت زيدًا، ولو قال ذلك كان مخطئاً، إذ ترجح فيه جهة الكذب على جهة الصدق لكثرة الأشخاص غير زيد فيلحق بالكذب احتياطًا، فلا يحل أن يقول رأيت زيداً؛ إذا ثبت ذلك نقول مسألتنا هنا: لما قال يوسف -عليه السلام- **{إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمسَ والقمرَ}** دل على أنه كان رؤيته عياناً لا خيالاً، ودل على صحة ذلك أيضاً أن يعقوب -عليه السلام- صدقه فيما قال، ولم يقل: ذلك خيال كاذب، لا شمس ولا قمر، فقال**{لا تقصص رؤياك على إخوتك}** سماه: رؤيا، ومنعه من أن يقص لغيره من الحساد، ودل على صحة ما قلناه -أيضاً- أنه أول وعبر ما رأى وبشره بتعبيره، فلو كان خيالاً لم يكن له تعبير، ولا

(35) سورة النحل الاية:90
(36) سورة البقرة الاية: 83.
(37) سورة آل عمران الاية:134.
(38) سورة الفرقان الاية: 63.
(39) سورة فصلت الايتان:34 -35.
(40) سورة الفتح الاية:29 .
(41) سورة البلد الاية: 17.
(42) سورة فصلت الاية: 30 .
(43) سورة الزمر الاية:33 .
(44) سورة البقرة الاية:109 .
(45) سورة البقرة الاية:237 14 .
(46) سورة لقمان الايات:17- 18 – 19 .
(47) سورة الحجرات الايتان: 11- 12.
59) ينظر المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، محمد مصطفى محمد، ص: 359-377.
(49) سورة بوسف الاية:4.
50) أي؛ كل ما يرد على القلب من المعاني من غير تعمل من العبد، ينظر: معجم مصطلحات الصوفية، لعبد الرزاق الكاشاني (ت.730هـ)، تحقيق: عبد العال شاهين، الناشر: دار المنار – القاهرة، ط1، 1413هـ، ص: 73.

يصح منه أن يعبر، فلما عبر دل على صحة رؤيته وحقيقة ما رأى، ثم دل على صحة ما قلناه -أيضاً- أنه ظهر بعد أيام آثاره وتعبير أنه حيث خروا له سجدا، وقال يوسف –عليه السلام-**{وقال ياأبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل}**[51] يدل عليه -أيضاً- قوله يوسف-عليه السلام**{قد جعلها ربي حقاً}** فلو كان خيالاً كاذباً استحال أن يُجعلَ حقاً وصدقاً، ويدل على صحة ذلك أيضاً أن الله تعالى أخبر النبي على يدي جبريل بذلك الرؤيا بعبارة الرؤية، وجعلها في كتابه الكريم القرآن العظيم، فمن قال أنه خيال يضحك على لحيته من ركاكة عقله. ومن خلال روعة تعبير الامام محمد بن عبد الملك الديلمي لهذه الاية وجمال ألفاظها، وطريقة عرضها للأحداث والمواقف، تجسدت من خلال تلك القيم التربوية والصور السلوكية المهمة. التي ألهمها الله تعالى لأنبيائه وكذلك أوليائه.

**الجانب التربوي الثاني: لابد للمريد من الاجتهاد في اختيار شيخ ناجح:** فقد دعت السورة إلى الأخيار الصحيح للشيخ، وكما قال الامام الديلمي- رحمه الله تعالى- أنه أخطأ مرتين في اختيار الشيخ وفي المرة الثالثة وفقه الله في الاختيار شيخه. ومن الفوائد الأخرى التي دلت عليها سورة يوسف في سلوك المريد، أن المريد المبتدئ لابد له من شيخ ناصح ومعلم مرشد، يرشده إلى المطلوب، ويعلمه صلاحه وفساده في سيَّره، ويُخبره بآفاته وحظوظ النفس والهوى والشيطان، وينبه عن إشارات و واردات، ودلالات واقعاته، وهذا لا يمكن إلا في الشيخ العالم العارف بمداخل الشيطان وحظوظ النفس، فإن يوسف -عليه السلام- رجع بواقعاته إلى أبيه يعقوب –صلوات الله عليهم-، ثم أرشده شيخه ونصحه وأمره بإخفائه عن حساده.

**الجانب التربوي الثالث: إخفاء المريد وارداته عن الناس: من خلال قوله تعالى:{ فيكيدوا لك كيدا}** قال الإمام الديلمي رحمه الله تعالى: هنا لابد للمريد بعد إن دلت الآية على ضرورة اخفاء واقعاته وواردااته عن جميع الناس غير شيخه، فإن يعقوب أمر ابنه يوسف -عليهما السلام- بإخفاء رؤياه عن إخوته، وإذا وجب الإخفاء عن الإخوة الذين هم كانوا اخوته ديناً ونسباً وكانوا انبياء أولاد أنبياء، فالآن يجب اخفاؤه عن الأجانب أولاً وآخراً، كيف وهو أنه بين السبب الموجب للإخفاء، قال:**{ فيكيدوا لك كيدا}** الآية، يعني يكيدوا لك حسداً عليك، لأن الحسد مركب في حيلة الإنسان، وهو باب من أبواب الشيطان، والشيطان عدو مُجِد في عداوته، فيدخل من بابه فينزغ بينك وبين إخوتك من طريق الحسد.

**الجانب التربوي الرابع: تفسير واردات وواقعات المريد من قِبل شيخه:** دلت الآية على أنه لابد للشيخ من أن يعدل بتأويل الظاهر عند المريد إلى الدلالة والإشارة. فافهم ذلك جداً، وقال الامام الديلمي: إن كثيراً من الناس غلطوا وأدى غلطهم في ذلك للتشبيه والتجسيم، فلا ينبغي أن يركن المريد السالك إلى ظواهر الواقعات[52] التي تحصل له التي ربما تكون من الشيطان، ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، وهم المشايخ المتقدمة بالمعرفة والكياسة، فإن قلت: ما فائدة الإعراض عن ظواهر المنامات والواقعات إلى التأويلات والدلالات؟ قلت: لله تعالى في ذلك حكم وفوائد للعباد نشير إلى البعض منها، نقول: منها إحواج المريدين إلى المشايخ العلماء الراسخين، توقيراً وتعظيماً لهم، وتثبيتاً للمريدين فيما هم فيه؛ ومنها إخفاء المحب حبيبه عن اطلاع الأغيار، فإن المريد إذا كان محبوباً، فيجب محبوبه أن يعامله ويكالمه على خفية من الأغيار، وأغيار هذا الباب هم الإنس والجن والملائكة جميعاً، وهم أصحاب الغَيْرِ والاحسان، وقلما يوجد الخلوة عن هذه الأقوام الثلاثة، فيعامل معه محبة بالإشارة، ويكالمه بالكنايات، كالعاشق إذا وصل إلى معشوقه في ملأ من الأعداء وزحمه من الأقرباء والجيران، فإنما يكالمه بلسان آخر غير لسان القوم ويعامله بالإشارة كي لا يطلع الأغيار على ما بينهما قال الشاعر:

أشارت بأطراف البنان وودعت ** وأومت بعينيها متى أنت راجع؟![53]، ثم الشيخ الراسخ في العلم يعبر ويعلم فافهم!.

**الجانب التربوي الخامس: لا يجب على الشيخ معرفة كل واقعات المريد** : قال الامام محمد بن عبد الملك في تفسير قوله تعالى **{ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال ياأبت هذا تفسير رؤياي من قبل قد جعلها الله حقا}** [54] يجوز أن يعلم الشيخ تأويلات رؤياه بعضها ولا يعلم كلها، ثم المريد الكامل صاحب الواقعات أوغيره يعلم البعض الباقي، فإن يوسف-عليه السلام- علم تأويلات أخر غير ما أخبره أبوه، كما في الاية يعني: وقوعهم على وجوههم له سجداً تعبير ما كان رأى أحد عشر كوكباً يسجدون والشمس والقمر، جعل الكواكب أحد عشرة اخوة له، وجعل أباه وامرأة أبيه التي هي خالته شمساً وقمراً، ثم جعل تعبيراً آخر، فقال **{ وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن}** وقد اختار تعبيرا اخراً وهو مجيئهم اليه فقال: **{ وجاء بكم من البدو}**[55]، ومن خلال هذه الجوانب المهمة التي تناولها الامام محمد بن عبد الملك الديلمي في تفسيره تصديق المعارف، والتي بيّن فيها أبرز المبادئ السلوكية المهمة الواجب إتباعها بالنسبة للمريد مع شيخه، والطالب مع أستاذه، ولا تقتصر هذه الآداب على مريدي الطريقة الصوفية؛ بل هي آداب مهمة ويجب على كل مسلم التَخلق بها؛ لأن فيها إصلاح العلاقة بين العبد وربه من خلال فهم سلوك الطريق للوصول الى الله تعالى ومرضاته.

(51) سورة يوسف الاية: 100.
[52]() الواقعات: مفرد (واقعه): وهي ما يرد على القلب من عالم الغيب بأي طريق كان، ينظر: معجم اصطلاحات الصوفية، ص:73.
(53) الشعر هو قيس بن الملوّح بن مزاحم العامريّ. شاعر متيّم. لقّب بـ (مجنون ليلى) لهيامه بها له ديوان شعر مطبوع، ينظر: تحقيق الفوائد الغياثية، لمحمد بن يوسف بن =علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (ت.786هـ)، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ، 781/2، ينظر محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت.502هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط1، 1420 هـ، باب: استطابة التوديع طمعاً في لقاء الحبيب، 67/2.
(54) سورة يوسف الاية: 100.
(55) سورة يوسف الاية: 100.

**المبحث الثاني: تربية النفس لدى المريد:**

**المطلب الأول:– تعريف النفس وبيان طبيعتها:**

ذهب علماء اللغة الى أن النفس تأتي بمعان منها الروح[56]، قال تعالى **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا }**[57] وتأتي النفس بمعنى الذات، يقال فلان قتل نفسه بمعنى انتحر وكان سبباً في هلاك ذاته[58] وتأتي بمعان أخرى منها الإخوة والعندية والدم[59]، فمن الأخوة قوله تعالى **{ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ }**[60] وأما العندية فمنها قوله تعالى **{ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ }**[61] خلافاً للأنباري القائل بأن المراد من النفس هنا الغيب[62]. وقيل هي الذات، ذكر ذلك الراغب الأصفهاني، ويقول مستشهداً بقوله تعالى **{ وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ }**[63] ( فنفسه ذاته وهذا وإن كان قد حصل من حيث اللفظ مضاف ومضاف إليه يقتضي المغايرة واثبات شيئيين من حيث العبارة فلا شيء من حيث المعنى سواه الله تعالى عن الأثنوية من كل وجه)[64] وتأتي النفس أيضاً بمعنى الجسد[65]، يقال قتل فلان نفسه بمعنى قتل بدنه وجسده. ومن خلال استقرائنا للمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم فإننا نجد أن لفظة نفس وردت بهذا اللفظ إحدى وستين مرة، فيما جاء بألفاظ أخرى مثل أنفسهم ونفوسهم مرات عديدة[66] ومعاني هذه الألفاظ تتراوح بين ما ذكره أهل اللغة.

**المطلب الثاني: أثر تربية النفس في السلوك العام للمريد:**

لقد اهتم القرآن الكريم بتربية النفس وتطهيرها، وذلك لما لها من أثر مهم في تربية السلوك، وهذا المعنى يتجسد لنا من خلال قصة يوسف – عليه السلام – التي دعت الى تطهير النفس وتنقيتها من الشوائب التي من الممكن أن تؤثر سلباً على درجة نقائها وصفائها، ولا يختلف أحد على أن سورة يوسف – عليه السلام – ما جاءت إلا لتربية السلوك وتهذيب الأخلاق، وذلك من خلال تربية النفس التربية العملية الحقة التي يعزى إليها حسن تربية المجتمع، فالنفس الزاكية هي التي تدعو الى انتهاج منهج السلوك الحسن ونبذ ما عداه، والنفس المريضة هي التي تدعو الى ضد هذا وتأمر به، ونوازع النفس كبيرة وكثيرة، ويبقى واجب الإنسان تهذيبها، بل وإخضاعها إذا اقتضى الأمر ذلك، كما حصل ليوسف – عليه السلام – قال تعالى {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ}[67] فتزكية النفس وتنقيتها هو المسلك الصحيح لتحسين السلوك، وجاء القرآن الكريم في الأساس ليهذب هذه النوازع وينظمها، لا ليحاربها كما يتوهم البعض، فالسلوك السوي هو السلوك المنظم الذي يعطي للنفس احتياجاتها ضمن المسلك المشروع والطريق المباح، حيث السلوك في اللغة هو النفاذ في الطريق، يقول الراغب الأصفهاني (( السلوك النفاذ في الطريق، يقال سلكت الطريق، وسلكت كذا في طريقه، قال تعالى {لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً }[68]))[69]، فالسلوك الصحيح هو بالضرورة نتاج التربية الصحيحة التي تستند على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ولو استعرضنا السلوك العام ليوسف -عليه السلام- لوجدنا أثر التربية واضحاً جلياً من خلال التزامه –عليه السلام– بالمنهج السوي المستقيم، وعدم انجرافه خلف الملذات الزائفة والشهوات المحرمة، قال تعالى {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ، وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ }[70] فتربية السلوك من خلال تربية النفس لا تقتضي محاربة طبيعة الإنسان البشرية كما يتوهم البعض، وإنّما هو تنظيمها وتوجيهها (( ولأن دور الإسلام يتعدى التوجيه أو التهذيب لطبائع الأفراد فهو يعترف بما لها من ميول عديدة ولا يحاول أن ينكر واحداً منها أو يتجاهله كما لا يحاول أن يعمل على إفناء بعضها وإماتته حتى لا يظهر هذا البعض من الميول فيما بعد في أجياله القادمة. وإلا - لو حاول هذا أو ذلك– لكانت وظيفته تبديل خلق الله، وتحويل خصائصه، وليس ذلك من رسالة أي دين سماوي، فضلاً عن أن تكون رسالة الإسلام))[71]. وتربية السلوك غاية لا يمكن الوصول اليها لحال من الأحوال إلا من خلال تربية النفس الإنسانية، فتربيتها الأساس الذي يقوم التصرفات العامة للفرد المسلم، فهي الطريق التي تؤدي إلى تربية الجوارح وتنظيم عملها. وقال **الامام الديلمي** في تفسيره تصديق المعارف: في سورة عليه السلام دلالات مرت كثيرة منها: إن قصة يوسف عليه السلام دل على حرف واحد دلالة خاصة، وهو أن المريد يجب عليه أن يحفظ رؤياه من أن يطلع عليه أحد من الناس. فافهم! واحفظ جداً، كما بينت سورة يوسف عدم الاعتماد على صداقة الصديق، وأخوة الإخوة، لأن إخوة يوسف عليه السلام عملوا به ماعملوا من التغريب والتفريق بينه وبين أخوته وأهله، كما دلت السورة على مكر الشيطان وكيده وعداوته، كما عمل الشيطان من عداوته بآدم –عليه السلام- وإخراجه وزوجته من أرض الجنة إلى تربة الغربة، ومن حال الغنيمة

(56) ينظر لسان العرب، مادة ( نفس ) 6/ 233-235، ويقول: ((سميت النفس نفساً لتولد النفس منها واتصاله بها كما سموا الروح روحاً لأن الروح موجودة به)).
(57) سورة الزمر الاية: 42.
(58) ينظر لسان العرب، مادة (نفس)،6/ 233.
(59) المصدر نفسه مادة (نفس)،6/ 234.
(60) سورة النور الاية: 61.
(61) سورة المائدة الاية: 116.
(62) ينظر لسان العرب (مادة نفس)، 234/6.
(63) سورة آل عمران الاية: 28.
(64) المفردات: ص 501.
(65 ) ينظر: لسان العرب (مادة نفس)، 6/ 235.
(66)ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص نفس 803 – 807.
(67) سورة يوسف الاية: 53.
(68) سورة نوح الاية: 20.
(69) المفردات في غريب القرآن، ص: 239
(70) سورة يوسف الآيتان: 22 – 23.
(71) الإسلام في حياة المسلم، ص: 334

والروح، وقال الديلمي: وهذا صحيح مجرب عندي، ورأيت أنه لو كان الحاكي قوياً أو قوى من السامع يستفيد منه السامع من غير أن ينتقص عن الحاكي شيئاً[72]

**الخاتمة:**

إن سورة يوسف تحمل بين طيات آياتها الكثير من المعاني التربوية التي ترقى بالمسلم الى أعلى مراتب الأدب والالتزام، وبينت بعض الوسائل الخبيثة التي يستعملها الشيطان لإغواء طالب العلم عن جادة الصواب، ومن خلال هذه الدراسة وبيان أهم الجوانب التربوية التي تضمنتها سورة يوسف، فإنها أثبتت الرؤيا الصادقة للأنبياء والأولياء، وإن إنكار تلك الرؤيا يعني إنكار آيات القرآن الكريم، وكما دلت على أن الشيطان يتربص بطالب العلم والمريد ولا ينفك عنه إلا بقدرة الله تعالى ومتابعة الشيخ، وإن كيد الشيطان حاصل للإنسان، ولكنه ضعيف {إن كيد الشيطان كان ضعيفاً} [73]، وعلى المريد حسن اختيار الشيخ، ولابد للشيخ أن يكون عالماً عارفاً بمداخل الشيطان وحظوظ النفس لدى المريد، هذا أبرز ما دلت عليه سورة يوسف عليه السلام وأهم الجوانب التربوية التي استخجرها الامام محمد بن عبد الملك الديلمي في تفسيره تصديق المعارف.

**المصـــادر**

ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت. 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط1 - 1422هـ.

ابن كثير: ابو الفداء عماد الدين بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم – دار مكتبة الهلال – بيروت، لبنان ط / 2003.

ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين بن عمر بن كثير القريشي الدمشقي، قصص الأنبياء– دار مكتبة الهلال – بيروت لبنان ط / 2003.

ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت.711هـ-1311م)، لسان العرب، الناشر دار صادر– بيروت، ط3، 1414.

ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت.183ه)، تحقيق: فتحي انور الدابولي و مجدي فتحي السيد، الناشر : دار الصحابة للتراث – مصر-طنطا، ط1، 1416ه-1995م.

الأحمد نكري: القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1421– 2000، تحقيق: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص: 1\121-122، ودائرة المعارف: وهو قاموس عام لكل فن ومطلب، الناشر: مطبعة المعارف – بيروت - سنة 1882.

محمد البهى: الإسلام في حياة المسلم، الناشر: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، (د.ت).

الأصفهانى: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت.502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.

الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت.1270هـ-1853م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت.

البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.

التفتازاني، سعد الدين مسعود(ت.792ه) شرح العقائد النسفية: تحقيق: مصطفى مرزوقي، الناشر دار الهدى – الجزائر (د. ط)،(د.ت).

الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت.875هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418ه.

القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت.671هـ)،الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

الجرجاني: علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1405.

الجصاص: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت. 370هـ)،أحكام القرآن تحقيق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(72) وهذا مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم ( المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز.. الحديث)، صحيح مسلم، باب، معرفة الركعتين اللتين كان، 2052/4، برقم 2664.

(73) سورة النساء الاية: 76.

جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، الناشر دار الكتاب اللبناني، (د. ط)، (د.ت).

الفاروقي: حارث سليمان: المعجم القانوني، الناشر: مكتبة لبنان- بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، 1991.

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت. 748هـ)، سير أعلام النبلاء تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ -1985م.

الزرقاني: محمد عبد العظيم (ت.1367هـ -1948م)، مناهل العرفان، الناشر دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (د.ت).

الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت.794هـ -1392م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1،(1376هـ-1957م)، الناشر دار إحياء الكتب العربية.

الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت. 538هـ)،الكشاف. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط3، 1407 هـ.

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: 1250هـ)، نيل الأوطار تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، ط1، 1413هـ - 1993م.

الصابوني: محمد علي، التبيان في علوم القرآن، الناشر دار احسان للنشر والتوزيع– طهران، ط3، (1230هـ-1388م).

الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت. 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م.

عفيف عبد الفتاح طبارة: روح الدين الإسلامي، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة والعشرون، 1993م.

عفيف عبد الفتاح طبارة: روح الصلاة في الإسلام، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت – لبنان، الطبعة السابعة،( د.ت).

الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت. 505هـ)،إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت. 170هـ) كتاب العين تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.

الفيروزآبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت.817هـ-1414م)، القاموس المحيط تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، (1426هـ-2005م).

القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت.671هـ)،الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م.

القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت.465هـ-1072م)، الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة (د. ط)،(د.ت).

القطان: مناع القطان (ت.1420هـ-1999م)، مباحث في علوم القرآن، الناشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 3، (1421هـ-2000م).

محمد أحمد جاد المولى: قصص القرآن، تحقيق الدكتور عبد الدائم زيتوني، الطبعة الأولى 1988.

قلعجي: محمد رواس- حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988.

المخزومي: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي (ت. 104هـ)، تفسير تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1 1410 هـ - 1989م.

النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد (ت.338هـ)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المرمة، ط1، 1409.

النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت. 303هـ)، المجتبى من السنن= السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط2، 1406 – 1986.

الكاشاني: معجم مصطلحات الصوفية، لعبد الرزاق(ت.730هـ)، تحقيق: عبد العال شاهين، الناشر: دار المنار – القاهرة، ط1، 1413هـ.